عن الراس والعين وما جانا عن التابعين فهم رجال
ونحن رجال وانما فضل الصحابة بمشاهدتهم قراين
احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق
قلوبهم امورا لا دراك فسددهم ذلك الى الصواب
من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة اذ فاض عليهم
من نور النبوة ما يحرسهم في الاكثر عن الخطا واذا كان
الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد
على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب والتصانيف
محدثة لم يكن شي منها في زمن الصحابة وصدر التابعين
وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد
وفاة سعيد ابن المسيب والحسن وخيار التابعين
بل كان الاول يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب
لئلا يشتغل بها عن الحفظ والقران وعن التدبر
والتفكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو
بكر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة شكل القران
في المصحف وقالوا نترك القران يتلقاه بعضهم من
بعض بالتلقين والاقرا ليكون شغلهم وهمهم حتى
اشار عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة بكتب القران
خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع
نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة او قراءة من
المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر لذلك فجمع القران
في مصحف واحد وكان احمد ابن حنبل ينكر على مالك
تصنيفه الموطى ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة وقيل
اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الاثار
وحروف التفاسير عن عطا ومجاهد واصحاب ابن عباس
بمكة ثم كتاب ابن معمر ابن راشد الصنعاني باليمن
جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطا بالمدينة

لمالك ابن انس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن
الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخواض
في الجدال والغوص في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه
والى القصص والوعظ بها فاخذ علم اليقين في الاندراس
من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب
والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض
عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل عالما والقاص
والمزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا
لان العوام هم المستمعون اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة
العلم عن غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم
وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون به مباينة
هولاء لهم فاستمر عليهم اسم العلما وتوارث اللقب و
خلف عن السلف واصبح علم الاخرة مطويا وغاب
عنهم الفرق بين العلم والكلام الا على الخواص منهم
كان اذا قيل لهم فلان اعلم ام فلان يقول فلان اكثر
علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق
بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين
في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى
الامر الى ان مظهر الانكار يستهدف لنسبة الى
الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت
ومنها ان يكون شديد التوقي من محدثات الامور وان
اتفق الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما احدث
بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن احوال
الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم
اكان في التصنيف والتدريس والمناظرة والقضاء والولاية
وتولي الاوقاف والوصايا ومال الايتام ومخالطة السلاطين
ومجاملتهم في العشرة او في الخوف والحزن والتفكر

Copyright © King Saud University